# مفهوم الصورة القرآنية ودلالتها على الإعجاز

إعداد : د. نورية سالم أبو رويص

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فإن القرآن الكريم بحر زاخر بالكنوز والنفائس، ومن أراد الحصول على لآلئه ودرره فعليه أن يغوص في أعماقه، فلآلئه لا تنفد، ودرره لا تنتهي، وهو محيط مترامي الأطراف، لا تحدّهُ عقول الأفراد ولا الأجيال، تلتقي عنده نهايات الفضيلة كلها على تباعد ما بين أطرافها، بهر عقول فرسان البيان، فخروا لله ساجدين، أنزله الله هدى ورحمة للعالمين.

ومن ثم كثرت بحوث القرآن، وتنوعت، وتعدّدت مناهجها وطرقها، ولايزال هذا المورد معيناً لا ينضب على مر الزمن.

فليس من الممكن أن يصل الباحثون والدارسون في محيط القرآن إلى قرار لما يزخر به من شتى الأفكار وفنون القول، ولما يتفرد به من سمّو الأساليب ومعجز التراكيب، فكلما زدته إمعاناً زادك متعة، وكلما أعطيته من جهودك أعطاك من عذب ثماره ما ينعش نفسك، ويوقظ فكرك.

ولقد كان من نعمة الله عليّ أن هداني إلى هذا الحقل الذي هو أخصب حقول المعرفة؛ لأكتب من هديه هذا البحث.

فالقرآن الكريم هو المحور الذي تدور حوله الدراسات العربية، وتستمد منه الأصالة والوثاقة، فلقد كان هو الباعث الأكبر على التأليف في علوم اللغة والبلاغة، وكان العلماء

يجدون في خدمة هذه العلوم خدمة للقرآن الكريم، مهجة القلوب وقرة العيون، ولا يمكن أن يقدم السلف هذا الجهد الخطير الماثل في هذا التراث الضخم دون أن يحركهم إليه دافع من العقيدة والدين.

وقد أفدت في بحثي هذا من مصادر قديمة مختصة، فضلاً عن فائدة البحث من مراجع حديثة مختصة – أيضاً – أضافت ملامح جديدة إلى ما قرره البلاغيون والنقاد القدامى فيما يتصل بالصورة، وقد عملت هذه المصادر والمراجع على نمو البحث واكتماله بالصورة التي خرج بها، وقبل كل ذلك كان القرآن الكريم هو مصدري الوحيد التمس منه الإشارة والإفادة بما يغني البحث.

ولم يكن غرضي أن أقف عند كل صورة في كتاب الله، فذلك عمل يجب أن تتكتل من أجله الجهود المثابرة الصابرة؛ لأنه فوق طاقة الإنسان الواحد، ولكن توخيت أبرز الصور القرآنية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يجيء في مبحثين وخاتمة.

وإني إذ أقوم بهذا البحث عن الصورة القرآنية ودلالتها على الإعجاز لا أدّعي أني بلغت فيها ما لم يبلغه الدارسون في هذا المجال، وإنما حسبي أن أحلّق مع آيات الله في ملكوته، أتملّى روائع بيانه، وباهر إعجازه، وألتمس مزيداً من الفهم والإدراك لآيات القرآن الكريم.

والله أسأل أن يجعله فهماً، وإدراكاً، أصل بهما إلى مزيد من العلم والعمل معاً.

**المبحث الأول: مفهوم الصورة بين اللغة والمصطلح.**

**المطلب الأول : مفهوم الصورة لغة:**

جاء في لسان العرب: الصورة في الشكل والجمع صُوَرٌ وصِوَرٌ وصُوْرٌ، وقد صوّره فتصوّر.

وتصورت الشيء : توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير التماثيل.

قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته.[1]

وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي أيضاً: الصورة بالضم الشكل، وقد صوّره فتصوّر، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة.[2]

وتجد المعنى نفسه – أيضاً – في المعجم الوسيط: الصورة: الشكل، والتمثال المجسّم، وصورة المسألة أو الأمر: صفتها، والنوع، يقال هذا الأمر على ثلاث صور، وصورة الشيء: ماهيته المجردة، وخياله في الذهن أو العقل.[3]

هذا من ناحية المعنى المعجمي، أما من ناحية أصولها واشتقاقها فابن فارس في " معجم مقاييس اللغة " يقول عنها: الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول، وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق.[4]

يؤيد هذا ما جاء في" اللسان" ورجل صيّر شيّر: أي حسن الصورة والشارة.[5]

أي أن عين اللفظة وردت واواً وياء بمعنى واحد، وقد وردت صيغة الفعل الماضي الثلاثي للمادة أجوف، عينه في الماضي ألف وفي المضارع ياء، ودار في معناه ومدلوله إحدى أخوات كان بمعنى يفيد التحويل والتغير، فيقال: " صار الماء ثلجاً " أي تغير من حالته السائلة إلى حالة صلبة، وتحول من شكل إلى شكل.

---

(1) لسان العرب لابن منظور مادة صور.

(2) القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة صور.

(3) المعجم الوسيط، مادة صور.

(4) معجم مقاييس اللغة، مادة صور.

(5) لسان العرب، مادة صور.

ومهما يكن شأن أصولها واشتقاقها، فالمتفق عليه أن لفظة الصورة اسم مصدر من ( ص، ي، ر ) أو ( صور ) ورد مصدره قياساً بصيغة تصوير، وفعله يفيد التأثير في الشيء والشيء يتقبل التأثير، إذ قيل في اللغة" وقد صوره فتصور".[1]

**المطلب الثاني : مفهوم الصورة اصطلاحاً:**

إن مصطلح الصورة يقف في طليعة المصطلحات ذات الأهمية الخاصة في مجال الفن والإبداع، فضلاً عن المكانة التي يتبوؤها في مجال الأدب.

ولقد حظي هذا المصطلح بمزيد اهتمام عند الشعراء والفلاسفة والنقاد، وقد اتسع ليشمل ليس الفلسفة والأدب فحسب، بل العلوم المحضة والمنطق وعلم الجمال وغير ذلك، وإن تفاوت هذا بين النقاد والمحدثين، وتفاوت معه فهم طبيعة المصطلح وعلاقاته ووظيفته.

بدأ اختلاف النقاد والدارسين واضحاً في قضية تأصيل المصطلح، فانتزعت هذه القضية جزءاً لا يستهان به من دراساتهم له، ووجدناهم بين مدافع عن أصالته في نقدنا القديم، أو متعصب لحداثته، لا يرى ظلاً تراثياً فيه، أو غير آبه لحرفية المصطلح الدلالية، حيث يقصر اهتمامه على قضاياه ودقائقه التي عنى بها نقدنا القديم[2]، وهناك من وقع في الخلط بين أصل المصطلح وحقل تطبيقه.

وقد لا نجد المصطلح – بهذه الصياغة الحديثة – في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، ولكن المشكلات والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تميزت جوانب التركيز ودرجات

---

([1]) لسان العرب مادة صور.

([2]) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث لبشرى موسى ص 20.

الاهتمام[1]، والصورة ليست شيئاً جديداً، فإن الشعر قائم على الصورة مند أن وجد حتى اليوم.[2]

ومن المناسب هنا أن توضيح العلاقة بين الصورة والتصوير والتصور في عجالة: فالصورة – مما سبق ذكره – تعني الشكل، والتمثال المجسم، وماهية الشيء وخياله في الذهن أو العقل، ونوعه وصفته.

أما التصور فقد جاء في المعجم الوسيط: تصوّر الشيء تخيله، واستحضر صورته في ذهنه.[3]

والتصور ينشأ عن الإدراك الحسي الذي هو الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس، وذلك كإدراك ألوان الأشياء، وأشكالها، وأحجامها، وأبعادها بواسطة البصر.[4]

وعليه فالتصور إذن هو: استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس من غير تصرف فيها بزيادة أو نقص، أو تغيير أو تبديل.[5]

فالتصور بمعنى آخر: هو العلاقة بين الصورة والتصوير وأداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر و اللسان واللغة والريشة والألوان وآلة التصوير وغيرها.

فالتصوير هو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني.[6]

---

([1]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، لجابر عصفور ص 7.

([2]) فن الشعر، لإحسان عباس ص 230.

([3]) المعجم الوسيط: مادة صور.

([4]) في النقد الأدبي عبد العزيز عتيق ص 68

([5]) المصدر نفسه ص 69.

([6]) التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم، لمحمد محمود قاسم، ص 13.

فكلمة ( صور ) والتي تعني " شيء كالقرن ينفخ فيه "[1] تكررت في عشر مواضع في القرآن الكريم هي: الأنعام، الكهف، طه، المؤمنون، النمل، يس، الزمر، ق، الحاقة، النبأ.[2]

ولقد وردت كلمة " صورة " في القرآن الكريم ست مرات بصيغ مختلفة، فجاءت بصيغتي الماضي والجمع في قوله – عز وجل – :﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[3]. وبصيغة الماضي فقط في قوله – تعالى – : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾[4]. وبصيغة

---

([1]) المعجم الوسيط مادة صور.

(5) سورة الانعام :" يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ " من الآية 74.

– سورة الكهف : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً " من الآية 95

. سورة طه : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً " الآية 100.

– سورة المؤمنون : " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ " الآية : 102.

– سورة النمل : " وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ " الآية : 89.

– سورة يس : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ " الآية : 50.

– سورة الزمر : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ " من الآية 65.

– سورة ق : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ " الآية : 20.

– سورة الحاقة : " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ " الآية : 12.

– سورة النبأ : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً " الآية 18.

([3]) سورة غافر من الآية : 64.

([4]) سورة الأعراف الآية : 10.

المضارع في قوله عز من قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[1]. وبصيغة اسم الفاعل في قوله – سبحانه – : ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾[2]. وبصيغة المفرد " صورة " في قوله – تعالى – : ﴿ يَأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ* فِي أَيِ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[3].

لقد وجدت كلمة ( صُورَة ) في رحاب هذه الصيغ متنفساً، وترسخت أبنيتها، وتطورت معانيها، فاستوت مدلولات مخصوصة لها جذور في معجم اللغة العربية قبل ظهور الإسلام كما لها إيماءات دينية وفكرية، انعكست بعد ذلك على أهل التفسير.

فإذا نظرت في كتب التفسير، وحدث أنهم وقفوا عند هذه الكلمة وقفة سريعة مشيرين إلى معناها بشكل عابر، يقول القرطبي في تفسير قوله – تعالى – : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي خلقكم في أحسن صورة[4]، أما ابن كثير فعبّر عن معناها بقوله :" أي : فخلقكم في أحسن الأشكال "[5].

ويرى الزمخشري: أن الله خلق الإنسان على هيئة ميّزته عن سائر المخلوقات[6]، وعليه فحسن صورة الآدميين يتسع لما فيه من جمال القوام وجلال القدر، ولا يدل ظاهر الآية على الشكل في خصيصة من خصائصه المادية، وفي موضع من جسمه، وفي طور من أطوار تكوينه، فصيغة الفعل " صور " قد جاءت في أحد مدلولاتها مطلقاً في

---

([1]) سورة آل عمران الآية : 6.

([2]) سورة الحشر الآية : 24.

([3]) سورة الانفطار الآيات : 6 – 8.

([4]) الجامع لأحكام القرآن 377/18.

([5]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 102/4.

([6]) الكشاف للزمخشري 189/4.

قوله – تعالى – : ﴿ اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقد جاء في تفسير قوله – تعالى – : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[2].

" خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصوّر، ثم صورناه "[3] فالتصوير يعني إعطاء الشكل الإنساني المتميز، أي تمايز هذا المخلوق المكرم على سائر المخلوقات، واتخاد خصوصية ظاهرة.

فالتصوير إذن يفيد معنى التزيين والتجميل أتى بعد الخلق الأول من الطين.

وفي موضع آخر يقول – تبارك وتعالى – : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[4].

وكأن الجنين في مراحله الأولى يمثل المرحلة الطينية غير المصورة، وفي الآية تأكيد إعطاء الصورة البشرية الخاصة بجزيئاتها، وإبرازها واضحة للبصر، بعد كون المخلوق البشري مضغة.

وهذه الصور المختلفة المتفاوتة لا تكون إلا أشكالاً ظاهرة؛ لأن جواهر الناس في أرواحهم، وقوام أدميتهم واحدة من حيث الخلق والمنشأ.[5]

---

([1]) سورة غافر الآية : 64.

([2]) سورة الأعراف الآية : 10.

([3]) الكشاف للزمخشري 99/2.

([4]) سورة آل عمران الآية : 6.

([5]) التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم ص 18.

وكذلك فإن مادة " صور " بين يدي القرآن الكريم لا تقتصر على ما يتعلق بالإنسان وإنما وردت في صيغة اسم الفاعل " المصور " لتدل على صفة الباري عز وجل خالقاً للكون كله و اسماً من أسمائه الحسنى جل وعلا: ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

ومن الملاحظ أن المفسرين نظروا إلى " الصورة " من حيث الشكل متأثرين بالمعاجم، وبالرغم من إجماع آراء المفسرين وعلماء اللغة على أن الصورة هي الشكل إلا أن القرآن الكريم لا يفصل بين صورة الإنسان وجوهره، بين جسده وروحه؛ لأن الله – تعالى – خلقه في أحسن تقويم وميّزه عن باقي مخلوقاته بالعقل والإدراك والشعور، فالإنسان جوهر وصورة، وأن الجوهر هو الأصل في طور خلقه الأول، أما الصورة فتأتي في طور آخر لتتضاف إلى الجوهر وتجسده في أحسن تقويم.[2]

**أ – الصورة قديماً:**

هناك تحديدات للصورة جاءت في أثناء حديث النقاد القدامى عن طبيعة الشعر وماهيته، وهذه التحديدات تقترب كثيراً من الدلالات اللغوية، وتنأى عن التحديد الاصطلاحي النقدي، فالنقاد والبلاغيون القدامى قد توزع اهتمامهم بين بلاغة القرآن الكريم ونقد الشعر، وكان الجاحظ ( ت 255هـ ) أول من لفت الانتباه إلى الصورة في العمل الأدبي بقوله: " فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التصوير"[3] ، ومنها أيضاً قول قدامة بن جعفر ( ت 337هـ ) عندما قال متحدثاً عن الشعر: " المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة، من أنه لا بد

---

([1]) سورة الحشر الآية : 24.

([2]) التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم ص 19.

([3]) الحيوان، للجاحظ 132/3.

فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها"[1]، وذكر أبو هلال العسكري ( ت 395هـ ) الصورة في أثناء حديثه عن أقسام التشبيه، فجعل من أقسامه: " تشبيه الشيء بالشيء صورة، وتشبيهه به لوناً وصورة"[2].

وقد ألحّ على الصورة البصرية من خلال إخراج ما لا يُرى إلى ما يُرى، يقول في قوله–تعالى – :﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[3] حقيقته غفلوا عنه، وفي قوله – تعالى – : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾[4]، لا تكونّ ممسكاً، والاستعارة أبلغ؛ لأن الغل مشاهد والإمساك غير مشاهد[5]، لكن الرماني ( 386هـ ) يخطو بفكرة التصوير خطوة أخرى بعد أن التقطها من الجاحظ، ثم طوّرها بتطبيقها على القرآن الكريم من خلال الاستعارات والتشبيهات، وبهذا تتضح معالم التصوير شيئاً فشيئاً، وتقوم الصورة البلاغية عنده بنقل المعنى المجرد إلى الحس العيني، فعلى سبيل المثال يتوقف الرمّاني عند قوله – تعالى – : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[6] ويفسره على النحو التالي: " كل ما جاء في القرآن من ذكر ( من الظلمات إلى النور ) فهو مستعار، وحقيقته من الجهل إلى العلم، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار، وفي موضع آخر يقول: الاستعارة أبلغ للإحالة على ما يظهر بالحاسة[7].

---

([1]) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص 65.

([2]) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص 218، 219.

([3]) سورة آل عمران من الآية 187.

([4]) سورة الإسراء الآية : 29

([5]) كتاب الصناعتين ص 245 – 246.

([6]) سورة إبراهيم الآية : 1.

([7]) النكت في إعجاز القرآن للرماني 92 – 93.

وركز حازم القرطاجني ( ت 684هـ ) في تحليله للصورة علي كيفية تشكيلها وارتسامها، من حيث هي استعادة ذهنية لمدرك حسي فيقول: " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصور الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم"[1].

وبالرغم من أن جهود الرماني والعسكري وغيرهما لا تنكر، إلا أنهم لم يخرجوا عن نطاق التأثر بالتفاسير واللغة والفلسفة، فبقيت دراستهم محصورة في النظرة الجزئية إلى الصورة والتفاتهم إلى الشكل.

وتتضح معالم الصورة أكثر عند إمام النقاد عبد القاهر الجرجاني ( ت 471هـ ) الذي استفاد ممن سبقوه، من آرائهم حول اللفظ والمعنى والصياغة، وانشطارهم إلى فئتين، فلم ينتصر لفئة على أخرى بل خرج برأي ثالث هو النظم.

لقد ربط الجرجاني اللفظ بالمعنى من خلال نظرية النظم، وأوضح أن الصياغة هي التي تمنح النص جماله وقيمته، فليس للفظة المفردة قيمة بدون المعنى، فالصورة عنده في النظم والصياغة، فقدم نظرة جديدة إلى الصورة من خلال العلاقة التي تربط شكل الصورة بمعناها، فالصورة عنده شكل ومضمون وصياغة، حيث يقول: " ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالاً إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني ص 18 – 19.

لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع منه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه"[1].

ويتحدث الجرجاني عن طبيعة الصورة بأنها تمثيل وقياس وإبراز المعنويات في صورة المرئيات يقول: " واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا "[2].

ويعرض الجرجاني في كتابه: " دلائل الإعجاز " للأنواع البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، مبيناً أن جمالها لا يرجع إلى حسن ألفاظها، إنما قيمتها في كونها " صورة للمعاني "[3].

وعبد القاهر الجرجاني لا يرى في الصورتين المختلفتين لمعنى واحد شيئاً واحداً؛ لأن المعنى في الصورة الأولى هو نفسه في الصورة الثانية، وإنما الاختلاف يكون في هيئة النظم وتركيب الصورة " ... لأنه لا يُتصوّر أن تكون صورة المعنى في أحد الكلامين أو البيتين مثل صورته في الآخر البتة ... "[4].

وقد التفت الجرجاني إلى دراسة الصورة الحسية بأنواعها كاللون والهيئة والحركة والصوت والذوق واللمس ..[5]

ولم يدّع الجرجاني لنفسه السبق في إطلاق مصطلح الصورة بل أشار إلى قدمه وحديث الجاحظ عنه، يقول: " وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره

---

([1]) دلائل الإعجاز ص 254 – 255.

([2]) المصدر نفسه ص 508.

([3]) المصدر نفسه ص 265.

([4]) المصدر نفسه ص 487.

([5]) أسرار البلاغة ص 90 – 91.

منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ: " إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير "[1].

ثم جاء الزمخشري ( ت 538هـ ) فكان في مقدمة استخدام مصطلحات التمثيل والتخييل والتصوير.

ويقسم المعاني إلى نوعين محققة ومتخيلة، فالمحققة كقوله – تعالى: " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل "[2]. ففي هذه الآية تصوير للإضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر[3].

أما المعاني المتخيلة كقوله – تعالى –: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[4]. المقصود بها تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها "[5].

ويمكن بعد هذا العرض الموجز القول بأن النقد العربي القديم لم يعرّف مصطلح الصورة بهذه الدقة وهذا الشمول الذي عرف في النقد الأوروبي وفي النقد العربي المعاصر، فهو قد عالج أنماطها البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ... إلخ، وإن كان لم يحاول إقامة وشائج فنية تربط بين هذه الأنماط.

فعلماء البلاغة والنقد تنوعت نظرتهم إلى الصورة تبعاً لتأثرهم إما بالفلسفة اليونانية، وإما بالمنطق وعلم الكلام، كما سيطر التذوق على قسم ثالث منهم، لكن نظرة هؤلاء

---

([1]) دلائل الإعجاز ص 508.

([2]) سورة البقرة الآية : 260.

([3]) الكشاف 1 / 361.

([4]) سورة الأحزاب الآية 72.

([5]) الكشاف 3 / 635.

بمجموعها لا تشكل نظرية متماسكة، أو تقدم مفهوماً ناضجاً للصورة، وظل مفهوم الصورة عندهم محصوراً في إطار التشبيهات والمجاز والكنايات مع التزام شروط عمود الشعر العربي، حينما كانت الصورة تتعلق بالشعر، وظلوا يعدّون الصورة نوعاً من الزخارف والمحسنات.[1]

**ب – الصورة حديثاً:**

لقد تبوأت الصورة مكانة مهمة في الأدب والنقد، وتطورت مفهوماً وشكلاً، وأصبح التعبير بالصورة من أبرز ظواهر الأدب عامة والشعر خاصة، واهتم النقاد المحدثون بدراستها، وأولوها كل عناية، فدرسها بعضهم من خلال التراث، والتفت آخرون إليها متأثرين بمفاهيم النقد الغربية، وبعضهم الآخر جمع في دراستها بين النقد القديم والنقد الحديث.[2]

وقد تنوعت الاتجاهات في دراسة الصورة، إذ تجد كثيراً من النقاد تأثروا بعلم النفس، فتناولوا الصورة من هذه الوجهة، يقول عز الدين إسماعيل: " الصورة الفنية تركيبة وجدانية، تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"[3]. وهو بتحديده هذا يكون قد جرّد الصورة من اللغة ومن عالم الواقع.

ويقرب من هذا التحديد إحسان عباس، فيعرّف الصورة بقوله: " هي تعبير عن نفسية الشاعر، وأنها تشبه الصورة التي تتراءى في الأحلام، ودراستها مجتمعة قد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري.[4]

---

([1]) ينظر الصورة في الشعر العربي لعلي البطل ص 25 .

([2]) التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم ص 32.

([3]) الشعر العربي المعاصر لعز الدين إسماعيل ص 127.

([4]) فن الشعر ص 238.

ولعل ربط الصورة بالوجدان، أوعدّ الوجدان أصل الصورة مفهوم ناقص إذا ما قورن بالمفهوم النقدي المعاصر للصورة الفنية، ولأن الشعور يبقى شيئاً داخلياً متعلقاً بسيكولوجية المتلقي من ناحية، ولأنه من ناحية أخرى فيه إهمال للواقع والفكر وبعناصر الصورة الأخرى، وهو بهذا يغلب عنصر الوجدان على العناصر الأخرى، ولكنه لن يستطيع بأي حال أن يلغي أثر أي منها، وإلا فالصورة تفقد كثيراً من قيمها الجمالية والوظيفية.[1]

ومن الدارسين المعاصرين من ربط الصورة بالنشاط الذهني أو العقلي سواء في مفهومها العام أم مفهومها التفصيلي، ففي مفهومها العام يتبنى عبد القادر الرباعي التعريف التالي: " أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن ... لكن هذا المفهوم هو المفهوم العام للصورة، أما المجال التفصيلي له فيجعل الصورة تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة عنصر ظاهري وآخر باطني، وأن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما: الحافز والقيمة؛ لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي قيمة.[2]

وقد تخلو الصورة – بالمعنى الحديث – من المجاز والوجوه البلاغية الأخرى فتكون عبارات حقيقية الاستعمال، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصب.[3]

**المطلب الثالث: وظيفة الصورة في القرآن الكريم:**

تتميز الصورة في القرآن الكريم عنها في الأدب بأن هذه عمادها الفكر الديني، فهي ذات هدف موجه، وتتحرك ضمن إطار القرآن الكريم وأهدافه، فلا مجال في الصورة

---

([1]) التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم ص 32.

([2]) ينظر التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم ص 32.

([3]) النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ص 432.

القرآنية للتوهم والإغراق في إبراز لواعج النفس وهواجسها كما هي الحال في الصورة الشعرية.

بل لقد بلغت الصورة القرآنية القمة في التأثير بالمتلقي؛ لأنها تثير الشعور الديني والشعور الإنساني معاً، فهي تهز أعماق الإنسان لتوقظه على حقائق الكون والإنسان والحياة، والعالم الآخر، عن طريق المشاهد المعروضة والصور الشاخصة ليبلغ التأثر الوجداني مداه، وتتفتح منافذ النفس لاستقبال التأثير عبر الفكر والوجدان والعقل والشعور معاً.

ويمكن إجمال وظائف الصورة القرآنية بأربع وظائف يتفرع عنها وظائف كثيرة أخرى يصعب حصرها.

فمن أهم وظائف الصورة في القرآن الكريم الوظيفة الدينية، وهي التي تميزها عن الصورة في الأدب، وهي تحمل فكراً دينياً واضح السمات والمعالم، يكسبها وحدة وانسجاماً مع بقية الوظائف.

فالصورة القرآنية تبرز قضية الألوهية، والتعريف بالله – سبحانه – خالق كل شيء، وتبرز آثار الألوهية في مشاهد الطبيعة، والأمثال، والقصص، والحوادث، ومشاهد القيامة، كما تعنى بإبراز آثارها في الإنسان، وكذلك تناقش الصورة قضية التوحيد وزيف عبادة الأوثان، ومواقف القرآن من أصحاب الديانات السائدة في شبه الجزيرة.

وحتى تحقق الصورة القرآنية وظيفتها الدينية لابد من أن تقترن بالوظيفة النفسية من حيث التأثير في النفس الإنسانية، وإثارة الانفعالات المختلفة من خوف ورجاء وحب وكره وإقدام وإحجام.

والصورة القرآنية لا تهدف إلى التأثير في النفوس تأثيراً عابراً كما في الصورة الأدبية، لكنها توضح للإنسان حقائق أساسية في حياته، وتقوم إضافة إلى ذلك بتجميع هذه المؤثرات النفسية ضمن علاقات متوازنة أو وشائج لبناء النفس الإنسانية، وصياغة

الإنسان وفق الفكر الإنساني، فهي تركز في خطابها على النفس والحس معاً، فلا تهمل جانباً على حساب الجانب الآخر، فهي ليست صورة شكلية خالية من المضمون، وإنما تقترب من طبيعة الإنسان المادية والروحية وما يتفرع منها من مشاعر.

ويتم ذلك عن طريق البناء اللغوي المتناسق والمنسجم، والذي يمنح الصورة حياتها وحركتها من خلال ارتباط حروفها التي تتشكل منها الكلمات لتبني بدورها علاقات ترتسم من بين معانيها ودلالاتها وظلالها الموحية، وأجراس حروفها وإيقاعها.

وهذه الوظيفة الجمالية ترتبط بالوظائف الأخرى لتحقيق غاية الفكر الإنساني والكشف عن الحقائق الدينية والكونية والإنسانية، أما الوظيفة الاجتماعية فقد حرص القرآن على أن يبحث في كثير من الأمور والعلاقات الإنسانية طلباً لرقي الإنسان، وحضه على التحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق، ولينعكس كل ذلك على المجتمع، فيغدو مجتمعاً نموذجياً لا يعكر صفو علاقاته سفاسف الأمور، لذا فقد لعبت الصورة دوراً بارزاً في تحقيق أهداف القرآن الكريم لنشر المفاهيم الاجتماعية للإسلام، وتقوية الروابط بين المسلمين، ودعم تضامنهم الإسلامي، وخدمة قضاياهم، وهذا يعني اهتمام الإسلام بالإنسان ككل متكامل، وبما يتناسب ونظرة الإسلام إلى الطبيعة الإنسانية، فجمعت الصورة القرآنية في وظائفها بين الجانب الديني والجانب الدنيوي، فقد أكدت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة أهمية العمل والسعي إلى الرزق، قال – تعالى – : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1]. كما أكدت على أهمية التزود بالمعرفة والحكمة المتنوعة.[2]

**المبحث الثاني: دلالة الصورة القرآنية على الإعجاز:**

**المطلب الأول: الصورة التشبيهية:**

---

([1]) سورة التوبة الآية : 106.

([2]) التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم 55 – 59.

من صور البيان الرائعة، تلك التي تتخذ من التشبيه طريقاً دقيقاً مصوّراً، ومعبِّراً عن كل ما تدركه الوجدانات، أو تنفعل له المشاعر والأحاسيس.

والتشبيه في حقيقته التأثيرية ما هو إلا لَمْحُ الصلة بين أمرين من حيث وقعهما النفسي، وبه يوضّح الفنان شعوره نحو شيء ما توضيحاً وجدانياً حتى يحس السامع بما أحس به المتكلم، فهو ليس دلالة مجردة ولكنه دلالة فنية.

ولا شك في أنه تشبيه الشيء بغيره يهدف إلى تقرير المشبَّه في النفس بصورة المشَّبه به أو بمعناه، وخاصة إذا كان التشبيه رائعاً جيداً، يدرك به المتفنِّن ما بين الأشياء من صلات يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره،[1] ومن ثم يثير في النفس مشاعر الاستحسان والارتياح لما في تعبيره وتصويره من جِدة وطرافة معاً.

وقد أدرك الأدباء منذ قديم عظم التشبيه ومنزلته في التصوير البياني، فهو عندهم من الصور التي تراود الخيال، وبه تحسن الصورة المراد التعبير عنها.

فبلاغة التشبيه في تحقيق ما أريد به من التحقيق بين الشيئين، أو الوقوف على مدى التقريب بينهما، إذ أنه كلما كان التشبيه محققاً للغرض الذي اجتُلب من أجله كان أبلغ وأعلى، ويزيده بلاغة ما فيه من طرافة وإبداع.

وإذا كان الأمر كذلك فإلى أي مدى وصلت بلاغة التشبيه في القرآن؟ وإلى أي حد أثرت الصورة البلاغية القرآنية من خلال هذا التشبيه؟

إن التشبيهات في القرآن لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء، بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية، وتعمقتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، وتجسّمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وليس هذا فحسب، بل يبرز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض،

---

([1]) ينظر من بلاغة القرآن لأحمد بدوي ص 147.

وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف، وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها.[1]

إن القرآن الكريم استمد عناصر تشبيهاته من الطبيعة سواء أكانت حيواناً أم نباتاً أم جماداً، ومادامت الطبيعة باقية ما بقيت الحياة يلمسها الإنسان ويشاهدها ويتفاعل معها، فالتشبيهات القرآنية خالدة؛ لأنها مستمدة من البيئة، ومؤثرة في العواطف الإنسانية تأثيراً قوياً ترغيباً أو ترهيباً.

فمثال الحيوان قوله – تعالى –: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلَ أَسْفَاراً ﴾[2] بجامع استصحاب النافع مع التعب الشديد في استصحابه، وعدم الانتفاع به بأبلغ نافع.

ومثال النبات قوله – تعالى – : ﴿وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[3].

ومثال الجماد قوله – تعالى –: ﴿ وَهْيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾[4] بجامع الضخامة والارتفاع مما يؤذن بالخطر والغرق والهلاك لولا عناية الله – تعالى.

وتمتاز التشبيهات القرآنية بالدقة والتحديد[5] والاستقصاء، فتراه يصف، ويقيد، ويلح على الفكرة لغرض توضيحها، حتى تصبح الصورة دقيقة واضحة أخَّاذة، مؤثرة في العواطف، مثل قوله – تعالى – : ﴿ فَمَالَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ*

---

([1]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم لصلاح الدين عبد التواب، ص 43 – 45.

([2]) سورة الجمعة الآية : 5 .

([3]) سورة يس الآية : 38.

([4]) سورة هود الآية : 42.

([5]) من بلاغة القرآن ص 154

فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾[1] فالقرآن الكريم عندما أراد أن يرسم صورة إعراض الكافرين عن الحق، ومدى نُفرتهم وكراهيتهم لهذا الدين العظيم شبههم بالحُمُر التي هي رمز للجهالة والغباوة، وأنها خائفة، ملأ الذعر نفسها، وسيطر على مشاعرها، فهي هائمة في الصحراء على وجهها، وضاعف من خوفها أن أسداً هصوراً يلاحقها للقضاء عليها، فازدادت فراراً، بجامع شدة الفرار والنّفرة، والغرض منه التصوير الدقيق لإعراض الكافرين عن دين الله.[2]

– وكذلك تمتاز التشبيهات القرآنية بالدقة في اختيار الألفاظ الموحية المؤثرة في العواطف الإنسانية. قال – تعالى –﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾.[3]

فقد شُبه المقاتلون المتحدون بالبنيان المرصوص بجامع قوة الالتحام، والاتحاد في القلوب والمشاعر والأهداف والغايات النبيلة لا مجرد الاتحاد الشكلي الخارجي، والتعبير بالبنيان المرصوص يوحي بشدة التماسك وقوة الاتصال.[4]

– ومن مميزات التشبيهات القرآنية أن يشبه شيء واحد بأمرين أو بأكثر لمحاً للصلة التي بين التشبيه الأول والثاني، تأكيداً للفكرة، وتثبيتاً لها في الذهن، وذلك كتشبيه حيرة المنافقين وقلقهم بحالة إنسان أوقد مصباحاً في ليل مظلم، فأنار امامه السبيل، وسرعان ما انطفأ هذا المصباح، فصار يسير في ظلام وحيرة وفزع[5] كما في قوله – تعالى – : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ ﴾[6].

---

([1]) سورة المدثر الآيات 49 – 51.

([2]) البلاغة التطبيقية لمحمد الجربي ص 138.

([3]) سورة الصف : الآية : 4.

([4]) البلاغة التطبيقية ص 139.

([5]) ينظر من بلاغة القرآن ص 156.

([6]) سورة البقرة : الآية : 16.

– إن التشبيه من الفنون التصويرية التي تصور المشبه وتوضحه وتبرزه، مثل قوله – تعالى – : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ المنُشَأَتُ فيِ الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ ﴾.[1]

فقد شبه الجوار المنشأت وهي السفن الضخمة المرفوعات الشراع بالأعلام، وهو من المشترك اللفظي؛ لإطلاقه على الجبل الطويل الموحي بالعظمة والضخامة، ويتناول أيضاً الراية التي تُرفع عالية خفاقة موحية بالجمال والبهجة والحرية والسرور، فالعظمة والجمال من ايحاءات الأعلام، وهي موجودة في السفن الضخمة.

والقيمة الفنية لهذا التشبيه القرآني تصوير المشبه تصويراً دقيقاً، إظهاراً لقدرة الله في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء ترغيباً في نعمته، وترهيباً من نقمته.[2]

ومن صور التشبيه ما جاء في قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

فالمشبه في الآية الكريمة حال الدنيا في إقبالها على الإنسان في زي حسناء[4] فاتنة، فاتنة، واغتراره بابتسامتها الخادعة وطلائها الكاذب، وما يعقب ذلك من زوال نعيمها، ومحو بهجتها ونضارتها وفنائها.

---

([1]) سورة الرحمن : الآية : 22.

([2]) الصناعتين ص 215.

([3]) سورة يونس : الآية : 24.

([4]) الكشاف 2 / 375.

والمشبه به : حال النبات يغديه الماء فيخضر وتنضر صورته، وتزداد خضرته، وتبتسم وزهرته، ثم لا يلبث أن تنطفئ هذه النضرة، وتذبل هذه الزهرة، ويتحول النبات النضر البهيج إلى هشيم وحصيد كأن لم يكن.

والغرض من التشبيه : تحقير حال الدنيا، وتعظيم حال الآخرة؛ لأن الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر، وهنا أخرج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة.[1]

يقول ابن الاثير : شبهت حال الدنيا في سرعة زوالها و انقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التفّ وتكاثف وزيّن الأرض، وذاك تشبيه صورة بصورة، وهو من أبدع ما يجيء في بابه.[2]

ويقول الطاهر بن عاشور[3] :

المثل : الحالة الماثلة على هيئة خاصة، وهو أيضاً الصفة الغريبة العجيبة، والتشبيه هنا حالة مركبة بحالة مركبة، عبر عن ذلك بلفظ المثل الذي شاع في التشبيه المركب، وهذا من التشبيه البديع الذي تضمن عدة تشبيهات مفرقة.

**أولاً:** شبه ابتداء أطوار الحياة منذ الصبا وتعلق الشباب بنضارة الحياة، وطموحهم وآمالهم بحال نزول المطر وإحيائه الأرض، وما يؤمله الناس من زخرف الأرض ونضارتها، بجامع التعلق بالمستقبل، وما يترقب من حصول الآمال.

**وثانياً:** شبهت بوارق المأمول وسعادة الحياة وبهجتها بسرعة ظهور النبات بعد المطر وزخرفته الأرض بالنبات بجامع شدة التعلق لظهور بوارق الشيء المأمول.

---

([1]) البلاغة التطبيقية ص 155.

([2]) المثل السائر 2 / 137.

([3]) ينظر التحرير والتنوير 11 / 141.

**وثالثاً:** شبهت معالي الأمور من نعم الحياة بالنبات الذي يأكله ويقتاته الناس بجامع علو القدر.

**ورابعاً:** شبهت سفاسف الأمور التي يتعلق بها بعض الضعفاء من لذائذ الحياة بالنباتات التي تأكلها الحيوانات بجامع الحقارة وانحطاط الهمم.

**وخامساً:** شبه الناس الذين يتعلقون بتلك السفاسف من الأمور التافهة بالأنعام، بجامع عدم الإدراك والتمييز.

**وسادساً:** شبه بلوغ الانتفاع بخيرات الدنيا إلى تمامه ونهايته وتكاثر أصنافه، وانهماك الناس في تناوله، وتعلقهم بهذه الحياة لعب ولهو فقط، ولا يوجد زوال وفناء بعدها، شبهت هذه الصورة بغانية تزينت، وحسناء لبست جميع أنواع الزينة، وفتنت بجمالها وزينتها، بجامع مطلق الافتتان في كل.

**وسابعاً:** شبهت سرعة زوالها بعد البهجة والكمال بالزرع المحصود الذي فقد سائر الحياة، بجامع سرعة الهلاك بعد الحياة والفناء بعد النضارة والبهجة والكمال، وواضح أن هذا التشبيه الرائع من خصائص التشبيهات القرآنية، لما امتاز به من النظم البديع، والتفصيل الشامل، والدقة، والاستقصاء، واختيار الألفاظ الموحية المعبرة المؤثرة.[1]

ومن هذه الصور التشبيهية أيضاً قوله – تعالى – : ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾.[2]

فقد شبهت صورة أعمال الكفار وقد أحبطها الكفر بصورة الرماد، وقد طيرته الريح العاصف، وبددته، وجعلته هباء منثوراً، وذلك لبنائها على غير أساس من معرفة الله،

---

([1]) ينظر التحرير والتنوير 11 / 141 – 142 . والبلاغة التطبيقية ص 156 – 157.

([2]) سورة إبراهيم الآية : 21.

والإيمان به، ولذلك أحبطت وذهبت هباء منثوراً. فالغرض من التشبيه: تقرير المشبه، وإثبات صورته في ذهن السامع، فأكد التشبيه، وقرر في النفوس أن أعمال الكفار لا نفع فيها، مما جعلنا ننفر منها، وتشمئز نفوسنا من ملاحظتها، وتملكتنا الرهبة من اتخاذ مسلكهم طريقاً، واستطاع هذا التشبيه أن يخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة،[1] فجسد الأمور العقلية في صورة محسوسة مشاهدة لكل ذي بصر وعقل، يملأ نفس الكافر باليأس من الانتفاع بما عملت في الدنيا فلا يرى له ثواباً، كما لا يقدر على شيء من الرماد المتطاير في الريح العاصف لتفرقه، وتبدد ذراته في الأجواء، وليس أدل على ضياع تلك الأعمال في الآخرة وعدم الثواب عليها من تشبيهها بالرماد المتطاير، وهي من قبيل التشبيه بأنسب صورة مشاهدة لا مجال للشك فيها وهي صورة رماد عصفت به الريح فصار مبدداً لا نفع فيه ولا أثر له.[2]

وهكذا نجد النسق القرآني وهو أبداً حافل بالقوة، والفن، والإبداع، والاختيار المناسب لكل جزئية من جزئيات التشبيه، بالإضافة إلى أن صور هذا التشبيه الرائع منتزعة من الحقائق المسايرة لنظام الكون، والموافقة لطباع الناس، كما أنها كلها صور شملت مظاهر هذا الكون بأسره، بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وشملت المظاهر والظواهر الطبيعية الأخرى.[3]

ولا بد هنا من التنبيه على أن أغراض الصورة التشبيهية كثيرة لا تنحصر فيما ذكر، ويمكن أن تدرك بالذوق والفكر، ولا ننسى أن الغرض الرئيسي هو ما يحدثه التشبيه

---

([1]) ينظر الصناعتين ص 214.

([2]) من بلاغة القرآن ص 156، والبلاغة التطبيقية ص 147 – 148.

([3]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 51.

فتتفاعل معه فيروقها ويؤنسها، ويبقى الغرض الديني على رأس كل هذه الأغراض في الصورة التشبيهية القرآنية.

**المطلب الثاني: الصورة الاستعارية:**

من الصور الرائعة في البيان القرآني ما جاء على سبيل الاستعارة، وهي تلك التي تعبّر عن الغرض في تصوير بارع، بلفظ قليل، له أثر في نفس السامع من غير إطالة ولا إطناب.

وللاستعارة تركيب يحمل على تخيّل صورة جديدة، وروعتها فيما تضمنته من تشبيه خفي مستور، وترى في الاستعارة خطوة أبعد من التشبيه في التخيل، الذي يعبّر عن تأثرنا بمظاهر الحياة والأحياء تعبيراً حافلاً بمختلف المشاعر والأحاسيس، وما ذاك إلا لأنها من ذلك النوع الموحي الذي يجعل القارئ أو السامع يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصّور المنظر للعين، وتنقل الصوت للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموساً مُحَسّاً، ويؤكد ذلك عبد القاهر الجرجاني عند كلامه عن فضل الاستعارة، وأثرها كوسيلة من وسائل التصوير البياني[1] حيث ذكر أنها : أمدُّ ميداناً، وأشدّ إفتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تُجمع شعبها وشُعوبها، وتُحصر فنونها وضروبها.[2]

ومن خصائصها التي تُذكر بها، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عِدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر.[3]

---

([1]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 59.

([2]) أسرار البلاغة ص 42.

([3]) اسرار البلاغة ص 43.

وإذا كان الأقدمون عندما تحدثوا عن الاستعارة في القرآن قد اقتصروا على ذكر أنواعها، فإنك تلمس من خلال تحليل الرماني للآيات الواردة على سبيل الاستعارة مدى وقوفه على قوة الإعجاز في القرآن، حيث استجمع الصورة القرآنية في ذهنه متنبهاً دائماً إلى ذلك الأثر النفسي المنبعث من تلك الآيات البينات، ومشيراً إلى فضل التعبير القرآني على مختلف التعبيرات الأخرى، مستعيناً في ذلك بالموازنة بين هذه الصور البيانية، وحقائقها المجردة.[1]

من هذه الآيات المصّورة بالاستعارة قوله – تعالى – : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] حقيقته : فبلّغ ما تؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة؛ لأن الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صَدْع الزجاجة، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ.[3]

وقوله – تعالى – في سورة الحاقة : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[4] " حقيقة : شديدة، والعتو أبلغ منه؛ لأن العتو شدة فيها تمرد "[5] وما أروعها من صورة تنقل إلى الحس دويّ الرياح وزمجرتها سبع ليال وثمانية أيام حسوماً.

---

([1]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 60.

([2]) سورة الحجر الآية : 94.

([3]) النكث في إعجاز القرآن ص 87.

([4]) سورة الحاقة الآيات 3 – 5 .

([5]) النكت في إعجاز القرآن ص 87.

وقوله – تعالى – في شأن النار وأهلها : ﴿ إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً وَهْيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾.[1] شهيقاً حقيقته : صوتاً فظيعاً كشهيق الباكي، والاستعارة أبلغ منه وأوجز، والمعنى الجامع بينهما : قُبْح الصوت. ( تميّز من الغيظ ) حقيقته: من شدة الغليان بالاتقاد، والاستعارة أبلغ منه؛ لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرَك مدى ما يدعو إليه من شدة الانتقام، فقد أجمَع: شدة في النفس تدعو إلى شدة انتقام في الفعل، وفي ذاك أعظم الزجر وأكبر الوعظ، وأدل دليل على سعة القدرة، وموقع الحكمة[2]

و يا له من مشهد مروّع، تضرب له القلوب، وتقشعر لهوله الجلود : جهنم فيه حية متحركة، يلقى إليها الذين كفروا فتتلقاهم بشهيق، وهي تفور، يملأ نفسها الغيظ حتى لتكاد جوانبها تنفجر من الحقد على هؤلاء المكذبين.

يا له من تشخيص يخلع الحياة، ويجسمها على ما ليس من شأنه الحياة المجسمة من الأشياء والمعاني والحالات النفسية، وإنه لفن في القرآن كثير الورود فيما يعرضه من الصور، ويبلغ من الجمال مستوى رفيعاً بما يبث من الحياة في الأشياء.[3]

من صور الاستعارة الجميلة ما جاء في سورة مريم من قوله – تعالى – : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّاءَ * اذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾[4].

" أصل الاشتعال للنار، وهو في هذا الموضع أبلغ وحقيقته كثرة شيب الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايداً سريعاً، صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار، وله موقع في

---

([1]) سورة الملك ، الآيتان 7 – 8.

([2]) النكت في إعجاز القرآن ص 87.

([3]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 62.

([4]) سورة مريم الآيات 1 – 3 .

البلاغة عجيب، وذلك أنه انتشر في الرأس انتشاراً لا يُتلافى كاشتعال النار "[1] وهذا لون من التخييل بديع يتمثل في تلك الحركة الممنوحة لما من شأنه السكون، فحركة الاشتعال هنا تُخيّلُ للشيب في الرأس حركة كحركة اشتعال النار في الهشيم، وهي حركة معبرة ومصورة معاً، فيها حياة وفيها جمال.

وإذا كان تصوير هذه الآيات قد جاوز الحد في الروعة والإبداع كسائر تصوير القرآن، فإن هذا يذكرنا بأن الجمال ليس وحده فيما فيها من استعارات لطيفة، بل وبما فيها – أيضاً – من دقة النظم، وبراعة التنسيق، وإحكام التأليف، ووضع كل كلمة، بل كل حرف في مكانه الذي لا يُرتَضى سواه.

ومن لطائف هذه الآية أنه كأنه قال : إني وهنت العظام منّي، فترك ذكر البدن وذكر العظام، إرادة لقصد شمول الوهن للعظام ودخوله فيها، وترك جمع العظام، واكتفى بإفراد العظم، فقال : " إني وهن العظم مني " وكأنه قال : قد شِخْت، فإن الشيخوخة دالة على ضعف البدن، وشيب الرأس؛ لأنها هي السبب في ذلك لا محالة، فترك الحقيقة وهي قوله أشيب، أو شاب رأسي، لما علم أن المجاز أحسن من الحقيقة، وأكثر دخولاً في البلاغة منها، ومن ثم أسند الاشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال بجميع الرأس، بخلاف ما لو قال : اشتعل شيب رأسي، فإنه لا يؤدي هذا المعنى بحال.[2]

ومن لطيف الاستعارات وبديعها هذه الصورة القرآنية الرائعة : – قوله – تعالى – : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[3] التي تطلق العنان للخيال ليسبح في هذه الحياة البديعة الوديعة، وفي هذا الصبح الذي يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدبّ النشاط في الأحياء على وجه

---

([1]) النكت في إعجاز القرآن ص 88.

([2]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 63 – 64.

([3]) سورة التكوير الآية : 18.

الأرض والسماء، والصبح مشهد مألوف متكرر في حياة الناس، ولكنها آيات الله البينات وروائعه المحكمات، ما مست جامداً إلا نبض بالحياة، ولا عرضت مألوفاً إلا بدأ جديداً خلاباً، وتلك قدرة قادرة ومعجزة ساحرة كسائر معجزات الحياة، ما أعجب الصبح عندما يأتي به التصوير القرآني حياً نابضاً، وكأن لم تشهده من قبل عينان![1]

وأختم هذا العرض لبعض الصور القرآنية التي أتت على سبيل الاستعارة بقوله – سبحانه – :﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىَ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الحْيَاةِ الدُّنْيَا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[2] ولنتأمل إلى استعارة مدّ العين لإحراز محاسن الدنيا، والشغف بحبها، والتهالك في جمع حطامها، والشّح بما ظفر به منها، وبين المد للعين، وهذه الأشياء من الملاءمة والتناسب ما لا يخفى على أهل الكياسة، وهكذا قوله – تعالى – : ﴿ زَهْرَةَ الحْيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فاستعار الزهرة لما يظهر من زينة الدنيا ورونقها وإدراك لذاتها، كالزهر إذا تفتّح وأعجبت نضارته وحسن بهجته.

وهكذا آيات الله البينات – أبداً – آيات تتجلى دوماً بإتقانها و إحكامها، وتبهر وتسحر بحسن عرضها، وجمال اتساقها، وبديع تصويرها.[3]

وما قصدت استقصاء صور هذا النوع من التصوير، ثم تدوينها جميعاً بجانب غيرها من ألوان التصوير، فإن الأمر أكبر وأعظم من أن يُحصى ويدون؛ وإنما هي نماذج يدل قليلها على كثيرها لأصِل من ورائها إلى ما في التعبير القرآني من تفرّد بخصائصه التي يمتاز بها عن غيره من فنون التعبير، ولهذا لم ألجأ إلى التقسيمات المتعددة لهذا اللون من التصوير ولا لغيره، فهذه كلها موجودة في مختلف الكتب البلاغية.

---

([1]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 65.

([2]) سورة طه الآيتان 129 – 130 .

([3]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 67.

**المطلب الثالث: الصورة الكنائية:**

الكناية طريقة من طرائق البلاغة، وهي من الصور الأدبية اللطيفة التي لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير الأدبي ما يجعلها دائمة الإشراق واضحة المعالم، دقيقة التعبير والتصوير، كما أنها – كغيرها من الصور الأدبية الرائعة – تظهر المعاني في صورة المحَسّات.

وإذا كان عبد القاهر الجرجاني قد بيّن المراد بالكناية بقوله " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه ".[1]

فقد بين لنا أيضاً أن الكناية – من حيث التعبير – أبلغ من الحقيقة، وذلك حيث يقول : " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ".[2]

والقرآن الكريم وقد حشدت آياته بالصور الأدبية الرائعة، لم يخلُ من هذه الصور الكنائية، بل وكما عرفناه أبداً : النموذج الأعلى والمثال الفريد لكل بيان.

فالصورة الكنائية في القرآن الكريم تمتاز بحسن التصوير، وقوة التأثير، وروعة التعبير إلى جانب الإيجاز اللطيف العجيب، وفيها من اللطائف والأسرار ما لا يصل إلى مكنونها إلا من تذوق حلاوة القرآن، وكان من أرباب الفصاحة والبيان، وهي آية دالة على إعجازه، شهد بذلك أساطين البيان.

وتمتاز أيضاً بنظمها البديع، وتأليفها الفريد، فمعناها لا يؤدى بغير لفظها، ولفظها لا يصلح إلا لمعناها، حتى لتكاد تصعب التفرقة بينهما، فلا يدري أيهما التابع؟ وأيهما المتبوع؟ وهي من هذه الناحية تعدّ من مظاهر الإعجاز في القرآن.[1]

---

([1]) دلائل الإعجاز ص 66.

([2]) المصدر نفسه ص 70.

وتقوم الكناية القرآنية بنصيبها كاملاً في أداء المعاني وتصويرها خير أداء، وأدق تصوير، وهي حيناً راسمة مصورة موحية، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما تنفر الأذن من سماعه، وحيناً موجزة تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل.[2]

فمن الكناية المصوّرة الموحية – قوله – تعالى – : ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىَ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾[3] فالتعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق، فيه تصوير محسوس لهذه الخلة المذمومة في صورة قوية بغيضة منفّرة، فهذه اليد التي غُلّت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، والقرآن بذلك يرسم صورة البخيل الذي لا تستطيع يده أن تمتد بإنفاق ولا عطية، كما أن التعبير ببسطها كل البسط يصور لك صورة هذا المبذر الذي لا يُبقي من ماله على شيء، كهذا الذي يبسط يده، فلا يُبقي بها شيء، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً مؤثراً.[4]

ومن هذه الصور الكنائية قوله – تعالى – : ﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾.[5]

---

([1]) التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم ص 76.

([2]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 69.

([3]) سورة الإسراء الآية : 29.

([4]) ينظر من بلاغة القرآن ص 173.

([5]) سورة الأحزاب الآيات 9 – 11.

فالتالي أو السامع لهذه الآيات ليقف بسمعه وبصره، بل وبكافة حواسه ومشاعره على مقدار الكرب العظيم الذي كان عليه المؤمنون وقتداك، وجنود الأعداء قد أخذوا عليهم كل سبيل، وضاقت بالمؤمنين الحيل، وانسدت أمامهم الفُرج.

فأيةُ حركة نفسية أو حسية من حركات الهزيمة، وأي سمة ظاهرة أو مضمرة من سمات الموقف، لم يبرزها هذا الشريط الدقيق المتحرك، المساوق في حركته لحركة الموقف كله، وهو يعبر عن شدة الهول والفزع الذي حاق بالمؤمنين وقد أحسوا بالهزيمة الساحقة، وها هم أولاء الأعداء يأتون المؤمنين من كل مكان، وها هي ذي الأبصار زائغة والنفوس ضائقة، وقد زُلزل المؤمنون زلزالاً شديداً.[1]

ومن الكنايات المهذبة قوله – تعالى – : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[2] وقوله – سبحانه – : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَا أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً ﴾[3].

وهكذا كنى الله بالإتيان والملامسة تكنية فيها كل التهذيب والأدب والتعليم.

وهناك – أيضاً – من صور الكناية ما يُعدل فيها عن الحقيقة لا لقبحها وثقلها على الأسماع والطباع ولكن إلى ما هو آنس للنفس، وأوقع في الحس، وأدخل في الإعجاب والإعجاز.

من ذلك تلك الآيات التي تصور بعض ما أعده الله من نعيم مقيم للصالحين من عباده في جنات الخلد : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ ﴾[1] ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[2] فإن هذا كناية عن النساء.[3]

---

([1]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 70.

([2]) سورة البقرة من الآية : 221.

([3]) سورة المائدة من الآية 7.

فالقرآن الكريم أعطى للكناية قيمتها ومدلولها ومنحها وظيفتها ومكانتها الفكرية.

وليس الهدف هنا إحصاء الصور الكنائية الواردة، في القرآن الكريم، بل كشف النقاب عن بلاغة الصورة الكنائية في القرآن الكريم، للوقوف على بعض أسرار الإعجاز، وكذلك كشف أثرها وبعض فوائدها وسر جمالها وعظمتها في القرآن الكريم، والذي نود أن نؤكده أن الكناية من وسائل التصوير في الأسلوب القرآني، وأنها قد تبلغ ما لا يبلغه التشبيه أو الاستعارة في التصوير والإيحاء فتعطينا الصورة في أبهى معانيها.

**الخـاتمـة:**

الحمد لله رب العالمين، بكل ما تفضل به علينا من العلم والمعرفة والهداية إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، وجرى على لسانه جوامع الكلم وروائع البيان وبعد:

لقد قمت في هذا البحث بدراسة موجزة لمفهوم الصورة القرآنية ودلالتها على الإعجاز، فأدركت أنه فوق طاقة بني الإنسان، وأنه فيه من روعة التعبير، وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب، ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن، وأنه ينطوي تحته لطائف وأسرار لا يصل إلى مكنونها إلا من منح ذوقاً رقيقاً، يدرك ما احتجب خلف الأستار من الأسرار، ومن هنا تظهر عظمة التشكيل البلاغي في القرآن الكريم، ويتضح جماله الخلّاب، وحسنه الفتّان، وتأثيره الذي لا يدانيه تأثير، وأنه آية من آيات إعجازه الكبرى.

---

([1]) سورة الرحمن الآية : 55.

([2]) سورة الواقعة الآية : 36.

([3]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 71.

وقد توصلت بهذا العمل العلمي المتواضع إلى هذه المرحلة، وقد استخلصت النتائج الآتية:

– إن مفهوم الصورة الفنية في الأدب والنقد العربي لا يمكن أن يكتمل إلا إذا أخذت في الاعتبار ظواهر التصوير في القرآن الكريم وملاحمه وخصائصه.

– إن الصورة القرآنية متميزة متفردة، وأنها ليست على منوال واحد فهي متنوعة وأهدافها متعددة، ومصادر التصوير في القرآن الكريم أكثر من أن تحصر.

– إن الصورة القرآنية موظفة لتقريب الحقائق الدينية، والترغيب في المبادئ الأخلاقية، والاستمالة للحق، والتبغيض في الباطل، والتحذير من غرور الدنيا والإعداد للآخرة.

– تعتمد الصورة القرآنية على تلاحم الغرض الديني بالغرض البلاغي لتحقيق الإعجاز في التصوير القرآني، وأنها هي النموذج الأعلى في التشكيل التي يجب أن تحذو حذوها نماذج الإبداع الأخرى.

وأختم بالقول : إن علينا أن نلتفت إلى رسالة القرآن السامية بقدر ما نلتفت إلى أسلوبه الحكيم، وأن الصورة التشبيهية أو الاستعارية و الكنائية ... إلى غير ذلك من الصور التي تواردت في البيان العربي، لكل منها خصوصيتها في تصويره، وتآزرها التعبيري المحكم مع طبيعة السياق الذي وردت فيه : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ ( سورة النساء الآية : 81 ).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

**المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني.

1 – أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

2 – البلاغة التطبيقية، محمد رمضان الجربي، منشورات جامعة ناصر، ليبيا، 1997م.

3 – التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.
4 – التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، إعداد : محمد محمود قاسم، جامعة اليرموك، 2002م.
5 – تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
6 – الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م.
7 – الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، 1965م.
8 – دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ط 3، مطبعة المدني ودار المدني بجدة، 1992م.
9 – الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ط 3، دار الفكر العربي.
10 – الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1995م.
11 – الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م.
12 – الصورة في الشعر العربي، علي البطل، ط 2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م.
13 – فن الشعر، إحسان عباس، ط 3، دار الثقافة، بيروت.
14 – في النقد الأدبي، عبد العزيز عتيق، ط 2، 1972م.
15 – القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق : سهام خضر، دار الكتب العلمية.
16 – كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2013م.

17 – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: محمد السعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

18 – لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة.

19 – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط 2، دار نهضة مصر.

20 – مجمّع اللغة العربية في مصر، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.

21 – معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام هارون.

22 – من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، نهضة مصر، 2005م.

23 – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق : محمد ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية.

24 – النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، 1996م.

25 – نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق : محمد خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

26 – النكت في إعجاز القرآن ( ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ) للرماني تحقيق : محمد خلف الله ومحمد سلام، ط 3، دار المعارف، مصر.